الفصل الثاني:

تاريخ الصحافة

لمحة عن نشأة الصحافة في مصر

لمحة عن نشأة الصحافة في مصر

الصحافة وكيف بدأت. وحسبنا أن نذكر أن عند بعض المتحدثين عن الصحافة، أنها قد بدأت في صورة الأوامر والتبليغات التي كانت الحكومات تعمد إلى إذاعتها على الجمهور شفهيا، وكانت طريقة الإذاعة وإيفاد رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردي إلى كل إقليم، وكان هؤلاء الرسل في حركة دائمة، كانت لهم محطات معينة يتجهون إليها بما يحملون من الرسائل، وكانت لهم جياد في كل محطة من هذه المحطات ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الإقليم أذاع ما فيها على سكان إقليمه. وقد يلجأ في بعض الأحيان إلى إطلاق المنادين ينادون بما فيها، ولقد كانت الإذاعة على أيدي النادين طريقة منتشرة في مصر إلى سنين، وأنها ما زالت تستخدم إلى وقتنا هذا في بعض القرى، وأخص ما تستخدم فيه نعي المتوفين في إلى أهل القرية كي يجتمعوا ويشيعوا المتوفي.

ولكن الحكومة كانت لديها تبليغات أخرى ليس من الضروري أن تريد لها الإذاعة على عجل، أو هي تريد لها هذه الإذاعة ثم تريد لها إلى جانبها إذاعة أقوى، فكيف كانت وسيلتها إلى ذلك؟

كانت وسيلتها النقش على الحجر، وكان لابد لها حينئذ من أحجار عدة تنقش على كل واحد منها نسخة من التبليغ الذي تريده ثم تبعث بها إلى حيث .وضع في المعابد التي يكثر تردد الناس عليها ومن هذه الأحجار.[1]

(١) فوزي عبد الغني: تاريخ الصحافة المصرية (القاهرة، دار بهاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م) ص ٩٤ – ٩٦.

حجر الرشيد" أولى الصحف الحجرية بمصر القديمة؟ ق.م"[1]:

كان قدماء المصريين يستعملون جدران المعابد وأعمدتها لتسجيل الحوادث الهامة والأخبار التي تتعلق بانتصارات ملوكهم وأخبارهم، وأعجب ما يرويه التاريخ عن ذلك "حجر الرشيد" المعروف. وهم يسمونه بالصحيفة الحجرية الأولى، إذ كان يكتب بلغات ثلاث (اليونانية الديمقراطية، الهيروغليفية) ويعتبر هذا الحجر التاريخي الصحيفة الأولى لصحف الحائط أو الصحف الجدارية المنتشرة اليوم.

ولقد كان حجر رشيد مكتوبا بثلاثة خطوط: اليوناني والديمقراطي والهيروغليفي، وهذان الخطان الأخيران من خطوط اللغة المصرية، هذا فكان الخط اليوناني لليونانيين، والخط الديمقراطي لعامة الشعب، والخط الهيروغليفي للكهنة، وبذلك يسعنا أن نقول أن حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار.

على أنه ينبغي أن نذكر أن مصر لم تنفرد باستخدام النقش على الحجر لإذاعة التبليغات والأخبار إذ كان في معرض الصحافة في كولونيا (بألمانيا) في ١٩٢٨ قطعة من الحجر وجدت في (جزيرة كريت) ويرجع تاريخها إلى ما قبل المدينة اليونانية، وقد حفرت عليها إشارات ورموز.

إذن بداية الصحافة في بلادنا أو في غيرها، كانت صعبة على الصحافيين أسلافنا، فإنشاء صحيفة في زمن كانت فيه الإمكانيات المطبعية غير ناضجة وربما انعدمت في بعض الأوقات، هي من أصعب الأمور وأسماها على إناس كانت لهم رغبة أكيدة في كتابة الخبر والمقال الصحفي، ولكن على الرغم من بدائية تلك

---

(١) شمس الدين الرفاعي الصحافة العربية والدولية (بيروت، مطابع الشروق، ١٩٩٨م) ص٩-١٢

العقول - بمقارنتها برجالات الصحافة اليوم - نجد أن صحافي تلك الحقبة قد تحدوا الظرف العصيب وقهروه مع سبق إصرار وترصد، وبادوا بإصدار الصحف وساهموا في تنوير العقول وشحذ العزائم ومكافحة الجهل والفقر ومقاومة الاستعمار بشتى ألوانه.

فبداية الصحافة في العالم - كما أوردتها المصادر - كانت بداية عصيبة، حيث ولدت على صفحات الصخور المنقوشة، ولعل المؤرخون قد بالغوا في الحديث عن أولى الصحف التي عرفها إنسان ما قبل التاريخ، حيث ذكروا طريقة مخاطبة الملوك لشعوبهم عبر صخور منقوشة تعلق في الساحات العامة وعلى واجهات المعابد، ولكن العقل عندما يحلل هذه الأقاويل ويغربل هذه الروايات لا يجد أية علاقة لها بالصحافة حسب مفهومها الصحيح، ولا يمكن تأريخ بداية الصحافة إلا بعد اختراع الورق والمداد ثم الطباعة بكافة مراحلها[1].

كانت مصر ولاية عثمانية في الدولة العليا التي أنشئت فيها أول مطبعة في القسطنطينية في ١٧٢٨، ولم يفكر أحد من الحكام الباشوات الذين تعاقبوا على حكم مصر في إنشاء مطبعة أخرى في القاهرة أو في الإسكندرية.

عرفت مصر الصحافة بلغات أجنبية قبل صدورها باللغة العربية، فحينما جاء نابليون بونابرت على رأس الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ أحضر معه مطابع وعلماء لدراسة مصر، وأصدر صحيفتين ناطقتين باللغة الفرنسية هما[2]:

---

(١) فوزي عبد الغني: تاريخ الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ٩٤ - ٩٦.

(٢) أحمد حسين الصاوي: فجر الصحافة في مصر: دراسة في إعلام الحملة الفرنسية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٤٧ - ٥٩

١- **لوكوربيه دليجيت** *Le Courier de L'Egypte*: أي البريد المصري: ظهر العدد الأول منها في ٢٩ أغسطس عام ١٧٩٨، أي بعد شهر واحد من دخول الفرنسيين القاهرة وصدر آخر عدد منها برقم ١١٦ في ٩ يونيو عام ١٨٠١. وكانت هذه الصحيفة موجهة لجنود الحملة لإعلامهم وتثقيفهم ورفع معنوياتهم ونقل الأوامر إليهم.

٢- **لاديكاد إجبسيان** *La Decade Egyptienne*: أي العشرية المصرية: وكانت تصدر عن المجمع العلمي المصري المكون من العلماء والباحثين، الذين أحضرهم نابليون مع الحملة، لنشر بحوثهم عن مصر، وكانت سجلا لمناقشاتهم، وكانت تظهر في أعداد متتالية ثم تضم كل مجموعة في مجلد، وتنتهي الأعداد المحفوظة بالمجلد الثالث في ١٠ مارس عام ١٨٠١.

وعندما رحلت الحملة الفرنسية عن مصر في ١٨ أكتوبر عام ١٨٠١ حاملة معها مطابعها، توقفت صحفها[١].

وفي عام ١٨٠٥ تولي محمد علي حكم مصر، وشرع في بناء مصر الحديثة واستعان بالكثير من الفرنسيين والنظم الفرنسية الحديثة أيضا لتحديث مصر[٢]. وأوفد البعثات إلى أوربا – خصوصا فرنسا – حتى يتمكن هؤلاء المبعوثون من نقل ما تعلموه من خبرات وعلوم إلى مصر، وحتى يشاركوا في بناء الدولة العصرية، وكانت فنون الطباعة والصحافة أحد مجالات النهضة المصرية التي أولاها محمد علي عنايته الشخصية، فأنشأ ديوان جرنال الخديوي لتولي كتابته أو تحرير تقرير يقال له الجرنال، ويتم طباعته في مطبعة القلعة وتوزيعه على كبار رجال الدولة،

---

(١) خليل صابات تاريخ الطباعة في الشرق العربي (القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٦م) ص١٤١

(٢) إبراهيم عبده. تطور الصحافة المصرية: ١٧٩٨ – ١٩٨١ (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ط٤)، ص٢٢، ٣١

وعندما عجز عن أداء مهمته بسبب اتساع أمور الدولة أصدر محمد علي جريدة الوقائع المصرية[1]، تصدر باللغتين العربية والتركية عام ١٨٢٨[2] لتوزع على الناس كافة.

وكما نشأت الصحافة في مصر بلغات أجنبية وعلى يد أجانب يمكن القول بأنها نشأت أيضا رسمية أو بواسطة الجهات الحاكمة، الحملة الفرنسية ومحمد علي أما أول صحيفة يصدرها فرد فكانت لومونيور أجبسيان، أي المرقب أو الرقيب المصري عام ١٨٣٣ وأنشأها شخص فرنسي بتشجيع من محمد علي لتكون لسان حاله وداعية لحكمه في أوروبا ويثبت اهتمام الحملة الفرنسية على مصر ومحمد علي بإنشاء المطابع والصحف مدى الإيمان بقدر الصحافة وخطرها في المسائل العامة، كما أنها مرآة المجتمع الذي توجد فيه وتتأثر به أيضاً[3].

وعلى الرغم من المبالغات المتكررة عن تأثير الحملة الفرنسية على الجانب الفكري والثقافي في مصر فإن استمرار الهجوم الاستعماري النشط على العالم العربي، كان هو الذي ترك الأثر الثقافي الخطير في العالم العربي ضمن تأثيرات أخرى.

باختصار كانت الظروف التاريخية الموضوعية التي تعرض لها العالم العربي منذ القرن التاسع عشر وراء الحركة الفكرية والثقافية التي أفرزت في نهاية الأمر ضمن إفرازات أخرى كثيرة عدة جوانب استوجبت بدورها ظهور الصحف في معظم

---

(١) إبراهيم عبده: المرجع السابق نفسه، ص٢٨.

(٢) خليل صابات: وسائل الإعلام – نشأتها وتطورها (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٩١م) ص١٥١ – ١٥٢.

(٣) محمود عبد الرءوف إبراهيم: الصحافة المصرية الصادرة باللغة الإنجليزية دراسة للمضمون والجمهور خلال عامي ١٩٩٧ – ١٩٩٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة حلوان، كلية الآداب، ٢٠٠٠م) ص٥٥ – ٥٦.

مناطق العالم العربي. فقد كانت الدولة العثمانية الرجل المريض في العيون الأوربية الاستعمارية النهمة. ولم تنتظر القوى الأوربية وفاة المريض لاقتسام تركته. بل استولت على أملاكه قبل وفاته بزمن طويل. ومن هنا جاءت صدمة الاحتلال مواربة لصدمة أخرى على المستوى الثقافي تعرض لها العرب الذين تم احتلال بلادهم في مشرق العالم العربي ومغربه.

وقد تمثلت أهم نتائج هذه الصدمة الثقافية والفكرية بشكل إيحائي عندما ارتد العرب إلى هزيمتهم العسكرية والسياسية كانت نتيجة للفارق الحضاري الذي يفصل بينهم وبين الدول الاستعمارية الأوربية التي احتلت بلادهم

كان طبيعيا أن يحاول أبناء النخب العربية في المشرق والمغرب سد الفجوة بينهم وبين الغرب الأوروبي.

لقد كان النضال الثقافي والفكري والعلمي من جانب أبناء النخب العربية في جوهره بحثا عن الخلاصة وسعيا وراء الحل لأزمة التخلف العربي.

واللافت للنظر أن هذا السعي والحل وراء الخلاص من السيطرة الأوروبية كان في رحاب الفكر والثقافة الأوروبية ذاته. لقد كان بحث المغلوب عن حل أزمته عند الغالب. فالمغلوب دائما مولع بتقليد الغالب وهذه سنة تاريخية راسخة وحقيقية أيضا. وكان طبيعيا أن يحاول الباحثون عن الحل لأزمتهم أن يجدوا هذا الحل لدى أوربا.

ومن هنا ذهبت البعثات والأفراد وأقيمت المؤسسات العلمية والثقافية بل والسياسية على غرار مثيلاتها في أوروبا. فقد كانت المجلات العلمية بشتى أنواعها والجامعات، كلها تقليد محمودا لنماذج أوربية[1].

ولهذا اتسمت ثقافة ما يسمى بعصر النهضة ببذرة الثنائية والالتباس منذ بدايتها ذلك أن هذه النهضة كانت نهضة موتيه براقية مفوضة من دون أن يعني هذا أفكار ما حققته من منجزات حداثية وتحديثية حاول الفكر العربي البازغ آنذاك أن يتلاءم ويتواءم معها بشكل إيجابي وذلك بالسعي إلى التوفيق بينها وبين جذور تراثنا الديني[2].

ومصر من أوائل الدول العربية التي عرفت الطباعة والصحف المطبوعة في العصر الحديث عندما جاء بها نابليون بونابرت أول مطبعة عربية مع الحملة الفرنسية التي حملت مع جنودها زادا حضاريا شد خيال الشعب المصري المتحفز للحركة في ذلك الوقت.

وكما أشرنا سابقا ظهرت أول صحيفة مصرية مع اليقظة المصرية وقواتها الدافعة لبداية عصر محمد علي حيث أصدر محمد علي جرنال الخديوي عام ١٨٢٧ ثم غير الاسم إلى الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ وأصدر الجريدة العسكرية عام ١٨٣٧م وفي عام ١٨٥٧م أوعز الخديوي إلى أسكندر شهلوب وساعده في إصدار صحيفة السلطنة.

وعندما تولى إسماعيل حكم مصر اتخذ من الصحافة وسيلة لتحقيق أهدافه فاهتم به وساعده على ذلك ظروف مختلفة كهجر المثقفين الشوام إلى مصر

(١) قاسم عبده قاسم: المجلات التاريخية في الوطن العربي، بحث منشور، كتاب العربي، رقم ٧٠، أكتوبر ٢٠٠٧م، ص١٠٨ – ١١٢.

(٢) محمود أمين العالم: المشهد الفكري والثقافي العربي عام ٢٠٠م، مرجع سابق، ص٢٢.

والحرب الروسية التركية وثمار البعثات المصرية إلى أوروبا ونمو حركة التعليم وبروز الإصلاح كل هذه الظروف أدت إلى انتعاش وظهور الصحافة الشعبية في مصر[1].

إلى جانب ذلك أنه في عام ١٨٦٥م يشتري الخديوي إسماعيل مطبعة بولاق من عبد الرحمن رشدي ويحدده ويقول لناظر ماليته أنه المسلم به أن للجرائد منافع ومحسنات عند الأهالي ولدى الحكومة ولذلك فإنني أرغب في إدخال جريدة الوقائع المصرية في عداد الجرائد المعتبرة[2].

ظهور الصحافة في الدول العربية :

أما في بقية الدول العربية فقد ظهرت الصحف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فترة الدولة العثمانية في سوريا ومنطقة الشام والعراق. وظهرت في الجزيرة العربية في عام ١٣٠٠هـ - ١٨٨٠م وذلك عندما دخلت المطبعة المملكة العربية السعودية عهد الوالي التركي عثمان نوري باشا، وعرفت المملكة الصحف في عام ١٢٢٦هـ - ١٩٠٨م أي بعد ربع قرن من وصول المطبعة إلى أرض الحجاز.

وعرفت منطقة المغرب العربي الصحف في أوائل القرن عن طريق نشر الصحف الفرنسية والإسبانية، أما في السودان فظهرت أول صحيفة عام ١٩٠٣م وهي صحيفة "السودان"، وكانت امتدادا لصحيفة المقطم في مصر. ولم تعرف منطقة الخليج العربي الصحافة إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

---

(١) محمد سيد محمد أحمد: صحيفة السياسة الأسبوعية، دراسة من الناحيتين التاريخية والفنية، رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م) ص٢٠١.

(٢) سعيد محمد سيد أحمد: الصحافة المصرية في عصر الخديوي إسماعيل من عام ١٨٦٣م إلى عام ١٨٩٧م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٢م) ص١٢٦.

انتشار الصحف :

لقد ساعد انتشار التعليم والتطور العلمي وظهور البريد ووكالات الأنباء في منتصف القرن التاسع عشر على انتشار الصحف وظهورها ما يعرف بالصحافة الشعبية. ومع ازدياد التطور في التعليم والعلوم ووسائل الاتصال وازدياد عدد سكان العالم ازداد عدد الصحف. وأصبح في العالم حتى عام ١٩٦٠م (١٤٥ ألف صحيفة) توزع ٢٠٠ مليون نسخة يوميا، ويوجد ثلث هذه الصحف في أمريكا الشمالية، والثلث الآخر في أوروبا، والثلث الأخير يوجد في بقية أنحاء العالم، ويقدر توزيع الصحف في أوروبا بنصف التوزيع في العالم، وبعد عشرين عاما أي في عام ١٩٧٠م بلغ حجم التوزيع اليومي للصحف في العالم أكثر من ٤٠٠ مليون نسخة بزيادة مقدارها ٢٠ بالمائة على مدى السنوات العشرين الماضية، وقد ارتبط التوزيع بنسبة التعليم. حيث يبلغ أكبر توزيع للصحف اليومية لكل ألف من السكان في السويد واليابان، وأكبر عدد من الصحف اليومية يوجد في أمريكا، أما أقل مستوى للتوزيع فيوجد في أفريقيا حيث تصل نسبة التوزيع إلى ١٩ نسخة لكل ألف من السكان[١].

إن هذه الأرقام تعني أن الدول المتقدمة تنتشر فيها الصحف ويزداد توزيعها بينما تقل هذه الصحف وحجم توزيعها في الدول الأقل تقدما، ويتضاءل التوزيع وعدد الصحف وفقا للأوضاع الثقافية والتعليمية، فتقل في أمريكا اللاتينية عنها في أوربا وأمريكا الشمالية، ثم تقل في آسيا لتصل إلى أقل درجة في أفريقيا.

وفي الصفحات التالية سنتعرض بشيء من التفصيل عن موجز للصحف التي صدرت في مصر منذ أن عرفت مصر الصحافة سواء الصحافة الشعبية أو المتخصصة.

---

(١) شون ماكبرايد وآخرون: أصوات متعددة وعالم واحد (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م) ص١٣٩.

نشأة الصحافة وتطورها

جريدة الوقائع المصرية:

ومن أبرز الصحف الرسمية التي صدرت في الوطن العربي (الوقائع المصرية) التي أسسها (محمد علي) والي مصر سنة ١٨٢٨م.

تبين للوالي بعد ذلك أن الشعب المصري يجب أن يطلع على أعمال الحكومة وأن يقف على إصلاحات الوالي، وجورنال الخديوي بالصور المتقدمة ليس له هذا الطابع.

فاتجه الوالي إلى إنشاء جريدة أخرى لهذا الغرض - أو بعبارة أخرى - إلى تطوير (جورنال الخديوي) بحيث يصدر باسم جديد، هو (الوقائع المصرية).

وقد صدر أول عدد من أعدادها في ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٢٨م.

وكانت الوقائع المصرية لذلك تصل إلى أمراء البيت المالك وإلى العلماء ورجال الدين وإلى طلبة العلم في مصر وأوروبا وإلى جميع موظفي الحكومة بلا استثناء.. وكانت الوقائع المصرية بوحي من الوالي كانت النظم الجديدة من أهم الأسباب التي دعت إلى إصدار الوقائع كجريدة للحكومة المصرية، فإن الوالي كان يريد أن يرى المصريون أو خاصة المصريون بمعنى أوضح الممثل التي رسمها لسياسته العامة.

كانت الغرض من استخدامها، استكمال مظهر من مظاهر السلطان، لأن الحكومات جرت في القرن التاسع عشر، على أن يكون لها لسان يعبر عنها لذلك كانت.

(الوقائع المصرية) وسيلة من وسائل الحكم، وعنوانا على الدولة، ووثيقة تؤرخ نشاط الحكومة[1]، وهكذا سدت الوقائع المصرية فراغا لم يسده (جورنال الخديوي)، والذي نشر في سنة غير معروفة، بعد إنشاء مطبعة بولاق سنة ١٨٢٢م، وهو أشبه بنشرة رسمية تحوي أوامر الباشا وقراراته.

تشتمل على خلاصة للحوادث التي تقع ي جميع جهات القطر المصري كما كانت تشتمل كذلك على عبارات الثناء والولاء للوالي ووصفه بالعدل في الحكم ونحو ذلك، وكان شرطا في مقدمة الصحيفة (أو مقالها الافتتاحي) أن تتضمن هذه العبارات، وكان من عادة الوالي أن يراجع بنفسه مسودات الصحيفة قبل إرسالها إلى المطبعة، كما حرصت الوقائع كذلك على نشر أنباء الجيش وترقيات الضباط والإشادة بانتصاراتهم الحربية.

ثم دخلت الوقائع المصرية في طور ثان من أطوار حياتها، وذلك بمجئ رفاعة الطهطاوي إليها، وذلك عام ١٨٤١ كما سنشير إلى ذلك فيما بعد[2].

على أن صحيفة الوقائع المصرية هي الصحيفة التي عاصرت الصحافة المصرية في جميع الأطوال التي مرت بها إلى اليوم، ولكننا تحدثنا الآن عن هذه الصحيفة في الطور الأول فقط، وهو طور النشأة.

وعلى هذا النحو نشرت أقدم الصحف المصرية ومضت قدما كأول مثال للصحافة المصرية بالمعنى المفهوم، وهي سجل للحكومة، وصدى لنشاط رجالها، وإن اختلفت أشد لاختلاف مع نظائرها من الصحف الرسمية في أوروبا التي تخصصت للأوامر الرسمية واللوائح فقط.

---

(١) إبراهيم المسلمي: الصحافة الإقليمية في مصر (القاهرة، الهيئة المصرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م) ص٨١.
(٢) إبراهيم عبده: تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ – ١٩٤٢، الطبعة الثانية، سجل العرب، ١٩٨٣م، ص٣٤ – ٤٦.

الجريدة العسكرية:

في بداية حرب الشام سنة ١٨٣٣م فكر محمد علي في إنشاء جريدة رسمية إلى جانب الوقائع المصرية وهي الجريدة العسكرية، وكانت تصدر كل يومين، وكانت تطبع بمطبعة الجهادية، وقد اقتصرت عنايتها تقريبا على نشر الجرائم التي تقع في آليات الجيش وتنشر الأحكام التي تصدر ضد أصحاب هذه الجرائم، غير أن هذه الصحيفة لم تعش طويلا وربما كان سبب ذلك معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م.

أثبت جرنال الخديو والوقائع المصرية والجريدة العسكرية أن ولي النعم كان يؤمن بقدر الصحافة وخطرها في المسائل العامة التي كان يكرس حياته من أجلها، وقد أدى جرنال الخديوي وظيفته من حيث تمثله للنظم القديمة، كما أدت الوقائع المصرية رسالتها من حيث أنها كانت أكثر عمومية وأوسع إدراكا لمعنى الجريدة بصفتها الرسمية والعامة كما أنها كانت لسانا طيبا لإصلاحاته وتنظيماته التي أدخلها في سنة ١٨٢٦م، وهكذا كان الغرض من الجريد العسكرية، فقد ارتبط وجودها باتساع الجيش اتساعا لم يكن معهودا من قبل.

وبالإضافة إلى هذه الجرائد الرسمية التي أنشأها محمد علي أصدر هذا الرجل في جزيرة كريت بعد أن استولى عليها سنة ١٨٢٢ صحيفة أخرى سماها.

وقائع كردية:

وكانت تصدر على نظام شبيه بالوقائع المصرية وتقوم بتسجيل مجالس الحكم، كما تقوم على تنظيم دعاية للوالي في ربوع هذه الجزيرة، وتدافع عن سياسته، وكانت تطبع باللغتين التركية واليونانية.

وبالإضافة إلى كل ما تقدم نجد أن هناك صحيفة فرنسية يجب الإشارة إليها من أنها ليست من الصحف الرسمية فإنه يصح النظر إليها على أنها كانت، هذه الصحيفة هي:

لومونتيور اجبشيان:

في صيف عام ١٨٣٣ ظهرت صحيفة فرنسية أسبوعية اسمها (لومنتور اجبشيان) وكان مقرها مدينة الإسكندرية حيث تقييم الجاليات الأجنبية، وكان محمد علي يمدها بالمال اللازم لها.

وكان من الأسباب التي دعته إلى ذلك هذه المعونة رغبته في مناصرتها في نزاعه ضد السلطان العثماني الذي كان ينشر باسمه جريدة أخرى بعنوان (لومونتير اتومان) وكانت هذه الأخيرة توالي الهجوم على محمد علي ، ولا تألو جهدا في نقد سياسته، والظاهر أن هذه الصحيفة الفرنسية التي نتحدث عنها لم تدم أكثر من ثمانية أشهر.

عودة إلى الوقائع المصرية:

ونعود إلى الوقائع المصرية التي هي حقيقة الأمر أهم الصحف الرسمية فنقول: مضى عهد محمد علي وتلاه عهد عباس الأول فسعيد، وفي عهدهما أصاب الحياة المصرية الفكرية شيء من الركود، فأغلق ديوان المدارس (وزارة التربية والتعليم) وأغلقت المصانع والمعامل، وفسد الجيش نفسه بدخول الجند الأرناؤط الذين حاول محمد علي أن يتخلص منهم، وتوقفت الوقائع المصرية عن الصدور.

وبقي الحال على ذلك حتى جاء إسماعيل فأصدر أمره أولا بأن تكون جميع المكاتبات الحكومية باللغة العربية بعد أن كانت باللغة التركية، كما أصدر أمره

بإنشاء المدارس الحربية والعودة إلى إيفاد البعثات إلى فرنسا وأمريكا لتدريب الجيش المصري على النظم الغربية.

كم أصدر أمره بإعادة الوقائع المصرية وبإصدار صحف أخرى علمية وأدبية وحربية من أهمها "يعسوب الطلب" وصحيفة "روضة المدارس" وصحيفة "أركان حرب الجيش المصري".

صحيفة روضة المدارس:

أنشأ محمد علي ما سماه (ديوان المدارس) وألحق بهذا الديوان الكبير قلما للترجمة. فلما كان عهد إسماعيل، اتجهت همة هذا العاهل الجديد إلى إعادة هذا القلم، الذي أهمله كل من عباس وسعيد، ثم لم يجد إسماعيل بدا من أن يعهد إلى رفاعة الطهطاوي برياسة هذا القلم، وقد كان رفاعة نظرا له في أيام محمد علي، وفي عهد إسماعيل بنوع خاص عهد إلى رفاعة القيام بكثير من المهام الثقافية للدولة، ومنها الإشراف على صحيفة روضة المدارس.

ولقد أعلن ديوان المدارس عن إصدار هذه الصحيفة إذ ذاك، أنه كان يملك (مطبعة) يطبع فيها الكتب المدرسية، والأوراق الحكومية، وهذه الصحيفة الأدبية العلمية، التي وضعت تحت نظارة رفاعة الطهطاوي، وباشر تحريرها ابنه علي بك فهمي، وصدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم سنة ١٢٨٧ هجرية الموافق ١٧ أبريل سنة ١٨٧٠ ميلادية.

وكانت الصحيفة تصدر مرتين في الشهر، ويطبع من كل عدد ٣٥٠ نسخة، زيدت إلى ٧٠٠ نسخة، وكان يكتسب فيها من ينتخب من ذوي المعارف، وينشر

فيها ما يستحسن نشره بين الناس من الفوائد العلمية، لأجل توسيع دائرة الأفكار، وتحريرها يكون بعبارة سهلة التداول، وجيزة، مفيدة.

أما من ناحية الأخبار فكانت روضة المدارس تعني بأخبار امتحانات الطلبة في مختلف المدارس، وما كان يقال في هذه الامتحانات – كما جرى العرف يومئذ بذلك – من كلمات افتتاحية وأخرى ختامية.

وكلها ثناء على الخديوي لتشجيعه حركة انتشار المدارس وتنويه بالجهود التي بذلها الأساتذة والطلبة، ثم تشجيع لهؤلاء الطلبة على حسن القيام بوظائفهم التي تنتظرهم بعد التخرج ونحو ذلك[1].

من أجل ذلك كانت هذه الصحيفة لا توزع إلا على طلبة المدارس، ولقد أقبل هؤلاء الطلبة على قراءتها إقبالا عظيما كان يصرفهم أحيانا عن دروسهم بالمدرسة، ثم أخذ ديوان المدارس بعد ذلك يبعث بأعداد هذه المجلة إلى الأعيان والوجوه، وفي القرى والأقاليم، ويطلب إليهم أن يعملوا على توزيع الصحيفة على أوسع نطاق ممكن.

نفهم مما ذكرناه إلى الآن، أن صحيفة روضة المدارس، كانت من الصحف الرسمية، التي تنفق عليها الحكومة، وأنها كانت صحيفة أدبية علمية لا صلة لها بالسياسة، ولا المجتمع، وأن كتابها كانوا نخبة من العلماء، لم يقدموا للصحيفة غير هذا الغذاء العلمي الذي تطلبه.

ومن هنا ندرك أيضا كيف كانت روضة المدارس أشبه شيء بمجلة علمية لكلية من كليات الجامعة، فكلما أنك لا تظفر في المجلة الجامعية بأكثر من أبحاث

---

(١) فوزي عبد الغني: تاريخ الصحافة، مرجع سابق، ص ١٦ – ١٣٦.

لأساتذة الجامعة، عني فيها أولئك الأساتذة بالحقائق العلمية وحدها وربما قلت فيها من أجل ذلك عنايتهم بأسلوبها، فكذلك تجد روضة المدارس التي نتحدث عنها.

ومن ثم لم تكن هذه الصحيفة أكثر من معرض للكتب التي يؤلفها نخبة من العلماء المشتركين في تحريرها فصلا فصلا، بحيث إذا تصفحت عددا من أعداد هذه الصحيفة، وجدت بها مثل هذه الملازم أو الفصول تحت عنوان قسم الكتب: فملزمة أو فصل من كتاب "حقائق الأخبار في وصف البحار" لـ علي باشا مبارك، وفصل من كتاب "آثار الأزهار ومنشور الأفكار" لـ عبد الله بك.

وهكذا كانت روضة المدارس مجلة أدبية علمية ذات أقسام ثلاثة:

قسم للعلوم على النحو المتقدم، وقسم للآداب والإنشاء على النحو المتقدم أيضا، وقسم للأخبار المدرسية وحدها. تذكر فيه أخبار المدارس التي تم إنشاؤها حديثا، وأخبار الامتحانات التي تجري بالمدارس كلها بوجه عام، وأخبار بعض المدارس التي تلقى بها كدروس الشيخ حسين المرصفي بدار العلوم في موضوع من الأدب ونحو ذلك.

وكانت صحيفة روضة المدارس تفتح صدرها كذلك للنجباء من طلبة المدارس، ليكتبون فيها بعض موضوعات إنشائية، والظاهر أن هذا كان لغاية واحدة، هي تشجيعهم ورياضتهم على اقتحام مواطن الكتابة والتمرن عليها، ومن الشبان الذين نشروا في الصحيفة بعض أشعارهم إسماعيل صبري.

وقد كانت روضة المدارس ميدانا رحيبا من ميادين الأدب يتبارى فيه أولئك الجهابذة بموضوعاتهم الطريفة وأساليبهم الرفيعة في الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات وكانت تصدر حافلة بذلك مرتين كل شهر.

وقد أمر إسماعيل بتوزيعها مجانا "على التلاميذ" فعودتهم ملكة المطالعة والبحث، وفتحت صحائفها للبالغين منهم، فكان ذلك يشجعهم ويدفع هممهم إلى البحوث والمجهودات المستقلة عن دروسهم، وهي أول صحيفة احتفت بعلم من أعلام الشعر في القرن الماضي فنشرت الشعر الحديث الرقيق (للشاب النجيب إسماعيل أفندي صبري) (هو إسماعيل باشا صبري فيما بعد) وهو أحد تلامذة مدرسة الإدارة.

وقد أغنتنا افتتاحيتها عن الطواف برياضها لتسجيل غايتها وتبيان أغراضها فهي تذكر وظيفة مصر في ذلك العصر، عصر إسماعيل "المتكفل ها". ثم تبين لنا الغرض من إنشائها بقوله (إن المراد من ظهرها بهذه الصورة هو أن تنكشف للعامة مخدرات العلوم وترفع حجبها المستورة، وخصوصا بين أبناء المدارس... حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم.. ويبعثهم عل ازدياد اهتمامهم إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفئدة والألسنة سيقيد بهذه الصحيفة).

والذي نخرج به من هذه المقدمات أن صحيفة روضة المدارس – أو بالأحرى مجلة روضة المدارس – لم تكن كالصحف الرسمية التي تخوض في الأمور السياسية والاجتماعية، وأن ناظرها ومديرها رفاعة الطهطاوي لم يكن في هذه المجلة صحفيا بالمعنى المراد من هذه الكلمة عند إطلاقها على صاحب مجلة أو صاحب جريدة.

أجل – من الخطأ أن ننظر إلى الطهطاوي، في روضة المدارس، على أنه صحفي بهذا المعنى، إنما هو أستاذ من أساتذة التعليم، في تلك الحقبة من تاريخ مصر، وهي الحقبة التي اشتغلت فيها البلاد بأمر الثقافة والتعليم اشتغالا كاد يصرفها عن غيرها من الأمور، وكما يقف الأستاذ في مدرسة من مدارس التعليم الحديث، أو عند

عمود من أعمدة الأزهر الشريف، يشرح لتلاميذه قضية من قضايا العلم أو الفكر، لا يتوخى في شرحه المحسنات البديعية، إلا ما جاء من ذلك عفو الخاطر، فكذلك فعل الطهطاوي في مجلة روضة المدارس إذ وقف من قرائه موقف المعلم من تلاميذه، ولا عجب في ذلك فقد كان الطهطاوي إنما يوجه الحديث في مجلته هذه إلى تلاميذ المدارس يشرح لهم قضايا العلم، ويحاول أن يشركهم معه في فهمها، ويدلهم على طريقة حلها، ويشعر في النهاية أنه أعطاهم درسا فنيا في هذا الميدان[1].

مجلة يعسوب الطب[2]:

وتعتبر أولى المجلات المصرية، بل أنها أقدم الصحف الطبية في الشرق العربي كله، أنشئت عام ١٨٦٥م وكانت تصدر شهريا، وكان يحررها (محمد علي باشا الحكيم) وهو من كبير الأطباء المصريين لذلك الحين.. واشترك معه في تحريرها عدد كبير من الأطباء المصريين والأجانب على السواء وكانت تعني بالموضوعات الطبية والصحية وتلك طريقة علمية في كل ذلك.

رأي الخديوي إسماعيل أن يكون للنشاط الطبي في مصر أثر يخلد فعاله ويعاونه على نشر أفضل المسائل الطبية كما يكون مجالا يتبارى فيه الأطباء بإنشاء الموضوعات المفيدة، فأصدر مجلة (يعسوب الطب) وهي أقدم الصحف الطبية في الشرق كله، على أن تشرف عليها الحكومة المصرية، وتمدها بالمال وقد قامت المطبعة الأميرية بطبعها، ومضى يحررها محمد علي باشا الحكيم – كبير الأطباء المصريين، وهي ترجو – كما تذكر خطتها – "أن تقدم لمطالعيها من رياض الطب

---

(١) فوزي عبد الغني: مرجع سابق، ص ١٢٦ – ١٣٦.

(٢) محمد إبراهيم أحمد الحفناوي ، الصحافة الطبية في مصر ودورها في تنمية الوعي الصحي ، دراسة تطبيقية لمجلة طبيبك الخاص في الفترة من ١٩٩٠- ١٩٩٤، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٢.

وأزهاره ما يغنيهم عن الرجوع إلى مطولات الكتب وشروحها أو المجلات الأجنبية وفصولها الطوال كما يجني العسوب وهو أمير النحل في دولته موارد العسل من أزاهير الرياض. وكان شعار المجلة "يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس".

وكانت موضوعاتها طريقة تغري بالقراءة حقا، فلم تتعرض للمسائل الصحية الجافة، وكانت تعالج الموضوعات العلمية في أسلوب يدركه القارئ العادي، وقد ساهم في تحريرها الأطباء المصريون والفرنجة، ومنح الشيخ إبراهيم الدسوقي علاوة على راتبه مائة وخمسين قرشا مقابل قيامه بتصحيح فصول الأطباء الأجانب"[1].

الجريدة العسكرية المصرية:

وظهرت في عام ١٨٦٥ كجريدة رسمية وكانت شهرية وقد اقتصرت بطبيعة الحال على معالجة الموضوعات الحربية والعسكرية واشترك في تحريرها عدد كبير من الضباط المصريين والضباط الأجانب، وظهر فيها كذلك أسما الكتاب والأدباء.

وقد طبعت هذه لجريدة العسكرية في مطبعة ديوان الجهادية في مستهل حملة الشام سنة ١٨٣٣ وقد أنكرتها الوثائق والمراجع قبل هذا التاريخ، ولعل حوادث الجيش وجرائم الآليات لم تكن تحتمل تخصيص صحيفة له قبل تنظيمه وازدياد جنده هذه الزيادة التي قلما تجاري في تلك الظروف، وقد فصلت إحدى الوثائق قدر هذه الصحيفة حيث قالت إنها "الجريدة الخاصة بنشر الجرائم التي تقع في الآليات" وأنه يصدر منها "شهريا خمس عشرة نمرة الجاري طبعها في مطبعة ديوان الجهادية" وقد شكا حضرة صاحب الدولة الباشا السر عسكر من التهاون الملحوظ في نشر هذه الجريدة العسكرية، فقرر مجل شورى الجهادية التنبيه على

(١) فوزي عبد الغني: تاريخ الصحافة، مرجع سابق، ص ١٣٤ – ١٣٥.

"أحمد أفندي ناظر مطبعة ديوان الجهادية لأن يبذل جهده حتى لا يقل عدد ما يطبع خاصا بالجرائم العسكرية من خمس عشرة نمرة في كل شهر" وتكاليف "ثابت أفندي كاتب مجلس شورى العسكرية بأن يختار من بين المستخدمين في شورى الجهادية موظفا قديرا ويوليه مهمة تسليم ما يرد إلى المجلس من أعداد الجريدة العسكرية وإرسال أعداد هذه الجريدة بالبريد على الديوان الخديوي ثم يكلف مجلس شورى الجهادية، الأفندي وكيل مأمور الديوان الخديوي بأن يعني بإرسال الجريدة إلى الجهات المختصة مرتين في كل أسبوع.

ونحن نرجح أن عمر هذه الجريدة لم يطل لأن الوثائق التي اتصلت بالجيش ونظامه وحروبه وظفره أنكرتها إنكارا تاما فيما خلت تلك الوثيقة التي أشارت إليها، وعندي أن معاهدة لندن وقد حدث من نشاط العسكري في مصر قد حالت دون استمرار الجريدة واضطلاعها بالأعباء التي حدثتنا عنا وثيقة مجلس الشورى الجهادية أو لعلها تطورت إلى شيء يشبه الغازته العسكرية المعروفة بأخبار الترقيات والتنقلات بين صفوف الجيش، وهو عمل صحفي هادئ تدعو إليه الحاجة وليس له موعد معلوم[1].

ثم اختلفت هذه الجريدة وتركت المكان لجريدة أخرى بعنوان:

جريدة أركان حرب الجيش المصري:

وقد ظهرت عام ١٨٧٣ وكانت صدى لهيئة أركان حرب الجيش المصري في الشام والجزيرة العربية وغيرها.

---

(١) فوزي عبد الغني: تاريخ الصحافة، مرجع سابق، ١٢٥ ــ ١٢٦.

لمحة تاريخية عن أهم الصحف الثقافية التي صدرت في مصر:

لقد جاءت الحملة الفرنسية فحققت ما يسمى بصدمة الحداثة وهي صدمة إجهاض لحداثة ذاتية وفرض حداثة غربية من أعلى استكملها محمد علي بعد ذلك مستفيدا ومستندا إلى كل ما أرهصت به هذه الحداثة الذاتية المجهضة من إمكانيات معنوية وعلمية ولولا هذا ما أمكن لمحمد علي أن يحقق مشروعه التنموي التوسعي الخاص في سنوات محدودة[1].

وعلى الرغم من كون المبالغات المتكررة عن تأثير الحملة الفرنسية على الجانب الفكري والثقافي في مصر فإن استمرار الهجوم الاستعماري النشط على العالم العربي، كان هو الذي ترك الأثر الثقافي الخطير في العالم العربي ضمن تأثيرات أخرى.

من جهة أخرى كان النشاط الصهيوني المحموم في فلسطين منذ بدايات القرن التاسع عشر وثورات الفلسطينيين المتكررة وممارسات سلطات الانتداب البريطاني لصالح المشروع الصهيوني.

وباختصار كانت الظروف التاريخية الموضوعية التي تعرض لها العالم العربي منذ القرن التاسع عشر وراء الحركة الفكرية والثقافية التي أفرزت في نهاية الأمر ضمن إفرازات أخرى كثيرة عدة جوانب استوجبت بدورها ظهور الصحف في معظم مناطق العالم العربي. فقد كانت الدولة العثمانية الرجل المريض في العيون الأوربية الاستعمارية النهمة، ولم تنتظر القوى الأوربية وفاة المريض لاقتسام تركته. بل استولت على أملاكه قبل وفاته بزمن طويل، ومن هنا جاءت صدمة الاحتلال

(١) محمود أمين العالم المشهد الفكري والثقافي العربي عام ٢٠٠٠م، مجلة المستقبل العربي، العدد ٧، ٢٠٠٠م، ص ٢٢

موازية لصدمة أخرى على المستوى الثقافي تعرض لها العرب الذين تم احتلال بلادهم في مشرق العالم العربي ومغربه.

وقد تمثلت أهم نتائج هذه الصدمة الثقافية والفكرية بشكل إيجابي عندما انتبه العرب إلى هزيمتهم العسكرية والسياسية كانت نتيجة للفارق الحضاري الذي يفصل بينهم وبين الدول الاستعمارية الأوربية التي احتلت بلادهم.

كان طبيعيا أن يحاول أبناء النخب العربية في المشرق والمغرب سد الفجوة بينهم وبين الغرب الأوروبي.

لقد كان النضال الثقافي والفكري والعلمي من جانب أبناء النخب العربية في جوهره بحثا عن الخلاصة وسعيا وراء الحل لأزمة التخلف العربي.

واللافت للنظر أن هذا السعي والحل وراء الخلاص من السيطرة الأوربية كان في رحاب الفكرة والثقافة الأوربية ذاتها. لقد كان بحث المغلوب عن حل أزمته عند الغالب. فالمغلوب دائما مولع بتقليد الغالب وهذه سنة تاريخية راسخة وحقيقية أيضا. وكان طبيعيا أن يحاول الباحثون عن الحل لأزمتهم أن يجدوا هذا الحل لدى أوربا.

ومن هنا ذهبت البعثات والأفراد واقيمت المؤسسات العلمية والثقافية بل والسياسية على غرار مثيلاتها في أوربا. فقد كانت المجلات العلمية بشتى أنواعها والجامعات. كلها تقليد محمودا لنماذج أوربية[1].

ولهذا اتسمت ثقافة ما يسمى بعصر النهضة ببدرة الثنائية والالتباس منذ بدايتها ذلك أن هذه النهضة كانت نهضة موتية برانية مفوضة من دون أن يعني

(١) قاسم عبده قاسم: المجلات التاريخية في الوطن العربي، بحث منشور، كتاب العربي، رقم ٧٠، أكتوبر ٢٠٠٨م، ص ١٠٨ – ١١٢.

هذا أفكار ما حققته من منجزات حداثية حاول الفكر العربي البازغ آنذاك أن يتلاءم ويتواءم معها بشكل إيجابي وذلك بالسعي إلى التوفيق بينها وبين جذور تراثنا الديني[١].

مصر من أوائل الدول العربية التي عرفت الطباعة والصحف المطبوعة في العصر الحديث عندما جاء بها نابليون بونابرت أول مطبعة عربية مع الحملة الفرنسية التي حملت مع جنودها زادا حضاريا شد خيال الشعب المصري المتحفز للحركة في ذلك الوقت.

وظهرت أول صحيفة مصرية مع اليقظة المصرية وقواتها الدافعة لبداية عصر محمد علي حيث أصدر محمد علي جرنال الخديوي عام ١٨٢٧م ثم غير الاسم إلى الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ وأصدر الجريدة العسكرية عام ١٨٣٧م وفي عام ١٨٥٧م أوعز الخديوي إلى اسكندر شهلوب وساعده في إصدار صحيفة السلطنة.

وعندما تولى إسماعيل حكم مصر اتخذ من الصحافة وسيلة لتحقيق أهدافه فاهتم به وساعده على ذلك ظروف مختلفة كهجرة المثقفين الشوام إلى مصر والحرب الروسية التركية وثمار البعثات المصرية إلى أوربا ونمو حركة التعليم وبروز الإصلاح كل هذه الظروف أدت إلى انتعاش وظهور الصحافة الشعبية في مصر[٢].

إلى جانب ذلك أنه في عام ١٨٦٥م يشتري الخديوي إسماعيل مطبعة بولاق من عبد الرحمن رشدي ويحدده ويقول لناظر ماليته أنه المسلم به أن للجرائد منافع ومحسنات عند الأهالي ولدى الحكومة ولذلك فإنني أرغب في إدخال جريدة الوقائع المصرية في عداد الجرائد المعتبرة[٣].

---

(١) محمود أمين العالم المشهد الفكري والثقافي العربي عام ٢٠٠٠م، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢) محمد سيد محمد أحمد صحيفة السياسة الأسبوعية، دراسة من الناحيتين التاريخية والفنية، رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م) ص١٠١

(٣) سعيد محمد سيد أحمد: الصحافة العربية في عصر الخديوي إسماعيل من عام ١٨٦٣م إلى عام ١٨٩٧، رسالة ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ص ١٢٦